العدد ٤ — ثمن العدد ٣٠ صنتيما — السنة الاولى

صوت الفلاح التونسي

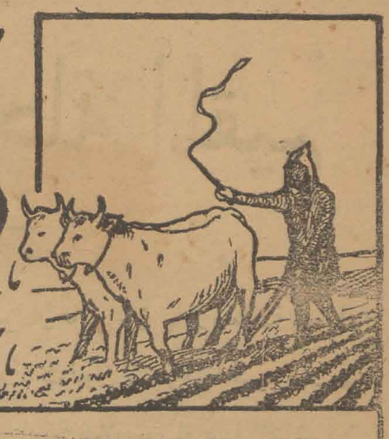

اسبوعية نقابية فلاحية جامعة للدفاع عن مصالح الفلاحين التونسيين

الاشتراك ٢٠ فرنكا داخل الايالة
تبعث المراسلات باسم مدير الجريدة
٤٦ مكرر نهج باب الجديد
« الاعلانات يتفق فيها مع الادارة »

المدير : عبد الرحمن الباجي
كاتب العام للنقابة الصنابية للفلاحين التونسيين

تونس - يوم الاثنين فى ٩ رمضان المعظم سنة ١٣٥٢ — LA VOIX DE L'AGRICULTEUR TUNISIEN — وفي ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣

حديث الاسبوع

اصلاح النظام العقاري

المملكة التونسية تشبه شكلا مستطيلا طوله من الشمال الى الجنوب ٥٥٠ ميلا وعرضه من الشرق الى الغرب ٢٥٠ ميلا . تبلغ مساحتها ١٢٥٠٠٠٠٠ هكتارا منها ٩ ملايين هكتارات صالحة للزراعة بين مزروعة فعلا او غير مزروعة والبقية غير صالحة للانتاج مطلقا . واذا تذكرنا ان عدد التونسيين مليونان تبين بالحساب ان كل فرد من افراد شعبنا يمكن ان ينال نصف ماشية من التراب الصالح للزراعة والانتاج !

فهل هذه هي البلاد « الفقيرة » التي يتحدثون عنها ؟ وهل هذه هي البلاد التي امس معظم سكانها يتجرعون المجاعة في كل شتاء بانتظام ؟

وهل راينا قط في بلاد من بلدان الله فيما تقدم او ما تاخر من العصور في المشارق او في المغارب ان شعبا مثل شعبنا يتمتع بنحو « المليون » ماشية من الارض يموت جوعا في الشتاء ولا ياكل في الربيع الا الخرشف ولا يقتات في المصيف الا من الهندي ؟

وما هو السر في ذلك ؟

بالحقيقة ان في ذلك اسرارا كثيرة عديدة مختلفة متداخلة مشتبكة مع بعضها اشتباكا عظيما . لكن هذه الاسرار لو حللناها لراياناها ترجع الى سبب رئيسي هو عدم استقرار الارض .

وذلك ان الارض التونسية غير واضحة الملكية . قد يعجب الانسان من قول مثل هذا ويتساءل لماذا لا تكون الملكية واضحة ظاهرة صحيحة ثابتة مع ان تونس بلاد متحضرة من عصور قديمة . بل هي من اقدم البلدان حضارة وعمرانا .

لكنه اذا امعن النظر في تاريخها اتضح له السر وزال عنه العجب .

كان البربر - وهم سكان البلاد الاصليون - يعيشون منذ ثلاثين قرنا عيشة بداوة لا فلاحة فيها الا ما كان عندهم من الماشية التي يقضون حياتهم في رعيها والتمعش من نتاجها من البان ولحوم .

ومن غير شك ان بلادا يعيش اهلها من الماشية لا تحتاج الى ايضاح الملكية وتقسيم ارضها الى قطع معينة . بل من المصلحة ان تكون الارض على الشياع حتى يمكن للاقوى ان يتغلب على الاضعف وتجد الحياة القبائلية متسعا من الفضاء للتنقل والتجول والرحل من مكان الى مكان في طلب المياه والمرعى .

ثم اتى القرطاجنيون في الالف الاولى قبل ميلاد عيسى عليه السلام . وكانوا اهل حضارة وتمدن . فادخلوا الى البلاد اصول الفلاحة وعلموا البربر زراعة الحبوب والزياتين والكروم والاشجار المثمرة . وعلموهم اعتصار الزيوت والخمور والتكسب من النباتات النسجية مثل الكتان والقطن والقنب والحلفاء . فاستعمروا الناحية الشمالية من البلاد الواقعة بين الساحل الشمالي وحوض نهر مجردة التي هي اخصب جهة من المملكة . فعمروها وقسموها الى ملكات معينة صحيحة حتى يتمكن كل انسان من استغلال مزرعته وبذرها وغراستها ويامن على نتائج ما يبذله من الجهود العظيمة .

لكن البقية الباقية من وسط المملكة وجنوبها بقيت على حالها من الشياع لاحتياج اهل البلاد الى مراع لماشيتهم ولبقاء جانب منهم على حالة بداوتهم الاولى .

ثم استولى الرومان على البلاد . فجلبوا معهم جيشا من المعمرين وقدماء العساكر الذين فتحوا البلاد واقطعوهم الاراضي الشاسعة حتى لم تبق ولو قطعة واحدة غير واضحة الملكية . هكذا تم عمران الرومان الذي يضرب به المثل والذي ما زالت آثاره الى الآن ظاهرة جلية نشاهدها فنقف مبهوتين مندهشين .

ثم لما فتح العرب هذه البلاد قسموا المملكة الى قسمين . فاقروا السكان الاصليين في اراضيهم مقابل ضريبة تسمى الخراج . وقسموا البقية على قدماء الجنود الفاتحين واقروهم بها فسميت باسمهم وما زالت الى الآن الهناشير الكبيرة تدل على منازل القبائل العربية مثل الصادقيين والماهريين والازديين والانصاريين وبئر المشارقة والمعاويين وهلم جرا .

وكانت الارض يومئذ ملك من احياها وزرعها لان من احي ارضا مواتا فهي له .

وقد حثت الشريعة الاسلامية على غراسة الاشجار وخدمة الارض . ومما ساعد على هذا العمران الغزير مشروع الري الذي قام به الاغالبة فانهم اسسوا المواجل في كل المدن وجلبوا المياه على الحنايا وامنوا الطرقات وبنوا القصور والمحارس . وكل محرس عبارة عن برج على مسافة معينة من البرج الآخر فيه ماوى للمسافرين وجامع للمصلين ومستشفى للمصابين ومدرسة للمتعلمين وقشلة للمجاهدين عندما يهجم العدو . وعلاوة عن ذلك فبين البرج والبرج ابار كثيرة ومزارع عامرة وقرى آهلة . ثم انهم جلبوا انواع المغروسات من الشرق والهند وبلاد الفرس مثل البرقوق والفستق والبندق وقصب السكر وشجر التوت . وغرسوا الزياتين والاشجار وانواع الرياحين . وقد زادت هذه الحضارة على عهود الفاطميين ثم على عهد صنهاجة حتى اصبح الفارس يمشي من القيروان الى المهدية تحت ظل الحيوط !

لكن البدو الهلاليين هجموا على البلاد في القرن الخامس . فهدموا ودمروا وخربوا واقتلعوا الاشجار وافسدوا العمائر . ومن ذلك الحين قل عمران الارض وفقد الامن في البادية . فاجر الفلاحون الى المدن وتوحيت الملكية واستولت الغابة حيثما كانت البساتين الغناء والرياض الفيحاء . وزهد الناس في هذه الدنيا لشدة ما فيها من المفاسد واقبلوا على الآخرة فحبسوا الارض لحمايتها من اثام البدو

ومن ذلك العهد اي من سنة الارباع (٤٤٤) فقدت الملكية لهجرة الناس الى المدن للتحصن بها . فتحولت مزارعهم الى اراضي اشتراكية . واوقف الناس الاحباس على المؤسسات الدينية لحمايتها من التعدي وضمان الانتفاع بها لانفسهم . بقي العدد القليل من المزارع ثابت الملكية .

ولما كان عدد البدو لا يقل عن مليون فقد رجع الناس الى حياة البداوة الاولى ونظام القبائل والعروش وعدلوا عن الغراسة والفلاحة وتحولوا الى العناية بالماشية من الغنم والابل .

هذا ما يفسر لنا وجود البداوة في القرن العشرين وعدم ثبوت الملكية في بلاد كل سكانها فلاحون !

فما هو الدواء ؟

هو اولا اثبات الملكية بصحق ما يسمى اراضي غابات واراضي عروش واراضي اشتراكية وبايجاد حل يوافق الاسلام ومصلحة التونسيين في مسالة الاحباس .

هذا هو الحل الاول . وهو هو الحل الاساسي الذي تعتمد عليه جميع الحلول الاخرى . وليس لاحد ان يجد حلا لهذه القضية غير الحكومة اذا احسنت واخلصت النية وغير المجالس النيابية اذا كانت نيابتها بالانتخاب الحر معتمدة على النيابة الفلاحية بكيفية اخص . فاذا كانت الحكومة تريد ان تعمل عملا صالحا واذا كانت المجالس النيابية مكونة من نيابة حقيقية مرتكزة على الفلاحة فان الملكية ستجد ثبوتا واستقرارا وسيصبح كل تونسي فلاحا ملاكا ثابت الملكية مسجلها بما يسمح له ان يخدم ويعمل عملا عمرانيا صالحا .

ثم ان ذلك لا يكون الا باقرار البدو في الارض حتى تزول اكبر مصيبة اصيبت بها المملكة منذ عصور .

نقول في صراحة ونعيد هذا القول مرارا وتكرارا ان سلامة المملكة التونسية لا تكون الا بتطهير النظام العقاري واقامته على قواعد متينة واثبات البدو بالارض واحداث مستعمرات فلاحية فيها المزارع والمساكن والمدارس والمستشفيات . في ذلك سعادة المملكة التونسية وفي ذلك ما يمكن ان يسمى عملا تمدينيا بتمام معنى الكلمة !

الصندوق الجديد والبيوعات

قال السيد المقيم في خطابه بالمجلس الكبير ان ارباب الديون ليس من مصلحتهم تتبع مدينيهم لدى المحاكم . وقد كنا نظن ان هذا القول هو عبارة عن تصريح او بلاغ الى كافة الدائنين ليكفوا شغبهم للفلاحين ويتربصوا في الامر ريثما يتم مشروع الصندوق الاول والثاني والثالث . وما الذي يهمهم من ذلك حيث ان الدولة ملتزمة بشراء ديون من يمكن شراؤهم في اجل قريب او بعيد وان هذا الاجل سواء قرب او بعد فهنالك فائض مدفوع لا محالة . واي انسان يجد فائضا لدينه مثل الفائض الذي يجده الدائنون !

لكن سرعان ما ذهب فالنا وطاشت سهامنا وتبين ما كنا نتخوف منه وهو ان الدائنين سوف لا ينصتون لخطاب العميد وسوف لا يرون من مصلحتهم عدم التتبع . لان ما يربحونه من التتبع هو بالحقيقة اضعاف ما يربحونه من الصندوق مهما كان شكل ذلك الصندوق .

ولا نريد من دليل على ذلك اكثر من كوننا عند ما نفتح صحف الصباح يتمثل لعيوننا اخبار البيوعات لدى المحاكم بما يملا الصحيفة والصحيفتين من حجم الدبيش او غير الدبيش من صحف الصباح !

واي شيء هو معنى هذا واي اصلاح لحالة الفلاح اذا لم تكن هنالك ضمانات تقيه شر التتبعات العدلية .

طلب التونسيون تاجيل البيوعات الى آجال معينة . ثم لما اعياهم الطلب وقيل لهم ان في ذلك القضاء المبرم على التعامل قالوا هاتوا لنا آجالا حتى تاتي هذه الكاسة التي اصبحت كعرس الجنون نسمع بها ولا نراها . واقل ما يكون هو ان يسعفوا بهذه التاجيلات لا سيما وانها لا تجحف بحقوق اي احد لانها معلقة على انتظام الصندوق وشروعه في العمل بصورة مرتبة .

وبالرغم عن التطمينات والوعود هاهي المحاكم ما زالت تنفذ كاكثر ما يكون بقطع النظر عن الصناديق وكان لم يكن في علمها ان هنالك صناديق سوف تتولى شراء الديون وتوثيقها .

في الاسبوع الفارط نفذت شركة من شركات الضمان حكم التريبونار على فلاح من اهل تستور في مبلغ زهيد جدا . فباعت الثور الكبير الضخم المحترم « بخمسة وعشرين فرنكا » وفرسا « بخمسة وستين فرنكا » وبقرة « بخمسين » فرنكا .

ونحن لم نبتدع هذا القول ولا قدمناه جزافا وانما نقلناه عن جريدة الدبيش الرصينة العاقلة والصحيفة الرسمية الفاضلة التي لا تلقى القول على عواهنه . واليك ما جاء فيه مترجما عن عدد يوم الخميس الفارط في باب الاخبار الافاقية :

تستور

« في كل سوق من اسواق تستور تقع عدة بيوعات بالغصب . والاثمان المتحصلة من ذلك هي مضحكة تافهة وفي يوم الجمعة الفارط (١٥ الجاري) كنت ترى ثور حرث راقدا بالعرض في نهج المدينة الكبير . وذلك ان الثور المذكور لما قرب من السوق امتنع من المشي فجاة بالرغم عن الحاح صاحبه ومحاولاته ذلك الصاحب الذي وقع تنفيذ حكم البيع عليه . وقد حلق بتلك الدابة عدد وافر من المتفرجين المتعجبين فكانت تنتقل بالنظر من واحد الى واحد في حالة انزعاجها ومما زاد الحالة بؤسا ان المزايدة كانت تقع من ..... من ١٥ فرنكا ! - ثم ٢٠ فرنكا ! حتى انتهى سوم البيع الى خمسة وعشرين فرنكا . وعلى مقربة من هناك بيعت بقرة بخمسين فرنكا ! « فما اكثر بؤس باديتنا »

***

يجب ان يكون البؤس شيئا مهولا في البادية حتى تصرح الدبيش بالرغم عن تكتمها التقليدي وبالرغم عن رصانتها وصبغتها الرسمية فتقول « ما اكثر بؤس باديتنا ! وما اشد شقاء باديتنا ! »

.... بدون تعليق !

النيابة الفلاحية

يتحدث الناس كثيرا عن انتخابات المجلس الكبير المقبلة. واصبح كل يضرب اخماسه في اسداسه ويحسب الف حساب للنجاح او للخيبة في المعمعة الانتخابية القابلية . وقبل ذلك هو يتساءل عن الاسلوب الذي سيقع به الانتخاب وعن الصفة التي تخول الانسان حق الانتخاب .

وقبل تفكير الناس فكرت الحكومة في هذه المسالة وصرح المقيم العام في خطبه الرسمية بانه ينوي توسيع نطاق المجلس الكبير والنيابات بصفة اعم .

لكن بلغنا ان هذا التوسيع سيكون على حساب الفلاحين . بمعنى انه سيقع التضييق في النيابات الفلاحية بصورة مجحفة . وهذا هو ما ينسبونه للمقيم في بعض الاوساط .

وعندما بلغنا هذا الخبر الذي نريد ان يكون زائفا تملكنا العجب واخذنا نسائل انفسنا هل انه من الحقيقة ان السيد المقيم الذي ما زال يعلن منذ قدومه بانه صديق الفلاحين الحميم وانه ما جاء الا لاخذ بيد الفلاح وان غايته الاولى هي انتشال الفلاحة مما وقعت فيه هو هو عينه الذي يريد تحديد النيابة الفلاحية ؟

ما كدنا نصدق آذانا ولا نعير جانبا من الاهمية هذه الاشاعات لولا تواترها تواترا كاد ان يفيد القطع .

اننا قد وضعنا ثقتنا في شخص المقيم العام منذ حلوله بهذه الديار . وان هذه الثقة مبينة على ما صدر منه من التصريحات المطمئنة للخواطر التي جعلت الفلاحين يرجون من ورائها خيرا كثيرا ومن جملة هذه التصريحات انه يجب ان يسمع صوت الفلاح وان يعيش حينا من الدهر في الاوساط الفلاحية وان ينصت الى تشكيات اهل الارض . فكيف ياتي كل هذا اذا لم يكن هنالك من النواب الفلاحيين ما يكفي لابلاغ اصواتهم والتحدث عن حاجيات وكشف النقاب عن حالاتهم ؟ وكيف يمكن ان تصيب الفلاحة نصيب النعجة في قسمة عمك الذئب ونحن في بلاد لا مورد لها حقيقي الا الفلاحة وكل الموارد الاخرى انما تعيش من الفلاحة ؟

كل تونسي هو بالاصالة فلاح . فالعجوز العاكفة في كسر بيتها لها حبس نصف زبتونة او ربعها . والارملة المنقطعة الرجاء لها مثل ذلك من الارض او الزياتين او النخيل . والمتوظف له هنشير ابيه او هنشير زوجته او نصيب من هنشير يرجع اليه بالملكية او بالحبسية . والصانع المحترف في الاسواق والتاجر العامل في دكانه لهما مثل ذلك على نسبة متفاوتة بالزيادة او النقصان . وكل هؤلاء من نسوة ورجال من متوظفين او تجار او صناع لا يمكن ان يقال فيهم الافلاحون .

واذا لم يكن واجد من هؤلاء فلاحا بالاصالة فهو بالتبعية فلاح . على اننا لا نكاد نصدق بانه يوجد من التونسيين من لا يكون فلاحا .

فالنيابة الاصلية عن الفلاحين والنيابة عن الفلاحين هي النيابة عن كل الاوساط التونسية اولا وبالذات . واول ما يجب الاعتناء به من النيابات هو النيابات الفلاحية لما بيناه من الاسباب التي هي بالحقيقة غنية عن البيان .

يسوءنا وايم الحق ان نرى المجلس الكبير بشكله الحالي لا يحسب حسابا للمصالح الفلاحية . فهو يهمل الجهات الكاملة ذوات الحاجيات المختلفة ولا يعتبرها اي اعتبار . خذ لك مثلا ان هذا المجلس الكبير لا يتمثل فيه من ينوب عن الجريد . والجريد ناحية كبرى من المملكة هي اهم ناحية في الجنوب ومصالحها لا تشاكل مصالح غيرها من الجهات والنائب عن الجهات الاخرى لا يعرف بالتدقيق ولا حتى على وجه العموم مصالح الجريد واذا كان يعرفها فنيابته تفرض عليه ان لا يعتني الا بمصلحة الجهة التي ينوب عنها . ومن العبث ان يقوم احد اهل الحاضرة او بنزرت فيتولى الدفاع عن اهل الجريد وهو لم يكن على اتصال مع اهل تلك البلاد ولا يعرف منها قليلا ولا كثيرا . وما نقوله عن الجريد نقوله عن الجهات الفلاحية الاخرى مثل الوسط او حوض وادي مجردة الذي هو اغنى ناحية لزراعة الحبوب . ونقول فوق ذلك ان الوطن القبلي وما ادراك ما الوطن القبلي لا يمثله نائب بالمجلس الكبير . واذا قيل لنا ان السيد التلاتلي كان نائبا ثم استعفى ثم رجع نائبا ثم استعفى فنقول انه لم يكن نائبا عن الوطن القبلي ولكن عن الاقتصاد العام . وشتان ما بين الوطن القبلي والاقتصاد العام . وشتان بين المترشح لارض يعيش فيها ومنها ويعلم ما فيها وما ليس فيها

وخلاصة القول ان المجلس الكبير بشكله الحالي لا يرضى الفلاحين . ولا يرضى الفلاحين لانه لا يمثل كافة الجهات الفلاحية نيابة كاملة صحيحة يحسن السكوت عليها . فكيف اذا طرق اسماعنا ان السيد المقيم ينوي التنقيص حتى من هذه القسمة الضيزى ؟ واي مصالح يمثل هذا المجلس الكبير او اي مجلس آخر يحل محله في شكله او في غير شكله اذا كان خاليا من النيابات الفلاحية او اذا كانت تلك النيابات به ناقصة ؟

ذكرت احصائية ادارة الفلاحة ان عدد الفلاحين التونسيين يبلغ مليونا ونصفا على وجه العموم . وكل اصلاح يحترم نفسه ويحترم واضعه الاشخاص الموضوع لاجلهم لا يكون الا على نسبة ايجاد المقاعد النيابية على حساب القيمة العددية الكائنة للجامعة الفلاحية .

ولو لم نكن نكره ان نسبق الحوادث او ان نتطفل على ما في نوايا السيد المقيم لقلنا ان كل عمل يجب ان يكون عليه نائبان فلاحيان وان تلغى مسالة النيابات عن الجهات العسكرية بان يكون هنالك نواب بالانتخاب على نسبة الاعمال الموجودة بتلك الجهات لا اكثر ولا اقل . وان يكون عدد النواب الفلاحيين بالانتخاب الحر العام بقطع النظر عما هنالك من نواب الحجرات الفلاحية الذين يجب ابقاؤهم لانهم يمثلون مصالح عليا وبصورة فنية تختلف في عمومها عن مصالح الجهات التي هي مصالح محلية يعرفها اهلها ويتحدثون عنها لما اكتسبوه فيها من التجربة ولما شاهدوه بالعين وسمعوه بالاذن عن ابائهم الاولين .

وهذه المصالح المحلية التي تختلف من ناحية الى ناحية ومن عمل الى عمل بل من قرية الى قرية هي غير المصالح العليا القومية مثل اقرار البدو بالارض وتطهير النظام العقاري وحل مسالة الغابات التي تفرض وجود فنيين خبراء يعرفون القوانين ويتحدثون بالنص ويعرفون النوايا والمقاصد ويهتدون الى ما في النصوص الرسمية من الالاعيب القاضية على المصالح التي لا يهتدي اليها الدخلاء الذين ليسوا على بصيرة من امرهم ولا من امر القانون الذي هو سيف ذو وجهين لا يدرك سره الا العريقون في ذلك العلم

نقول هذا ونحن نشتهي ان يكون ما نقل لنا عن السيد المقيم محض اختلاق حتى نطمئن على مصالح الفلاحين التي لا يمكن ان تحفظ الا على نسبة ما هنالك من المقاعد النيابية بكافة المجالس المنتخبة .

وعسى ان نرى من العميد في غد ما يسرنا في هذا الامر وليس غد لناظره بعيدا

اجتماع جمعيات المعمرين

يوم السبت ٢٣ الجاري على الساعة التاسعة والنصف صباحا اجتمع مائة وخمسون نائبا عن جمعيات المعمرين بتونس في قاعة الحجرة الفلاحية الفرنساوية بقصر التيابات . كان الاجتماع تحت رئاسة م . قونو رئيس الحجرة الفلاحية فاعطى الحضور بيانا موجزا واضحا عن دورة المجلس الكبير الاخيرة . واهم قسم من بسطته يتعلق بالصندوق العقاري الذي وضع فيه الفلاحون كل رجائهم . فتحدث عما كان فيها بالمجلس الكبير مما صار معلوم الجميع

ثم تعرض لمسالة القموح وقال ان امرين عليين قد صدرا لتحقيق بيع القمح

ثم ذكر في مسالة الخمور ان بعض المشرعين الفرنساويين بالبرلمان ذكر ان النواب التونسيين التزموا بايقاف تيار غرس الكروم مع ان ذلك مخالف للحقيقة . واذا قيل لنا انه يجب غرس الاشجار بدل الكروم فمن المعلوم ان بعض الاراضي صالحة للكروم ولا تصلح للبرتقال او الخوخ مثلا . ولا حل لذلك الا ان يطبق على تونس قانون الاعناب المطبق علي الجزائر وعلى فرانسا

ثم تعرض لاصلاح نظام المجلس الكبير . فقال ان المجلس الجزائري اعطى نصف الكراسي للنواب الفلاحيين بينما هؤلاء ليس لهم الا ست بقاع من ٥٢ في المجلس التونسي .

ثم ختم م . قونو بيانه طالبا اتحاد الجميع في هذه الساعات الحرجة لان صعوبة الحال لا تسمح بالانقسام والانفصال .

معرض الدجاج والحمام

يوم السبت الفارط وقع افتتاح معرض الدجاج

يوم السبت الفارط وقع افتتاح معرض الدجاج والحمام وسوق العسل . وقد قصده العارضون واتوا اليه بانواع الدجاج الرفيع والفراخر (دجاج بر العبيد) والدجاج الهندي والبط والوز والعصافير والحمام الزاجل وغيره .

كما عرضت به انواع الاجباح وآخر ما اخترع من الالات الحديثة لتربية النحل واستخراج العسل . ومن سوء الحظ ان التونسيين لم يشاركوا في هذا المعرض الا قليلا ولاسيما قسم تربية الدجاج والنحالة مع ان النحل فرع من اهم الفروع الفلاحية وقد كنا نسمع كثيرا عن النحالين بجبل قربص وغيره . فهل فقدت هذه الصناعة من التونسيين ! فعسى ان لا يفتح المعرض في السنة الفارطة الا وقد شارك فيه التونسيون بما لهم من الاغلبية العددية والتفوق اللازم للاحتفاظ بالكرامة الوطنية

الفلاحون ورحلة المقيم

اعتاد المقيم العام ان يزور من حين لآخر جهة من الجهات التونسية ليطلع بنفسه على احوالها ويتعرف حاجياتها ويدرك عن كثب مصالحها وما تحتاج اليه من الاصلاح العاجل او الآجل . وهذه الطريقة نافعة جدا لانها تخرجنا من الاسلوب الكلاسيكي العقيم القائم على التقارير وجبال الاوراق ومناشير زيادة الاسترشاد مما يضيع الوقت ويفتح بابا للاغراض ويجعل بعض المتوظفين حكاما وخصماء ولا ياتي على كل حال بنتيجة تذكر فتشكر .

وجريا على هذه السنة التي ابتكرها سافر في الاسبوع الفارط الى الجريد والجنوب التونسي . بعد الفراغ من اعمال المجلس الكبير ومن تطمين خواطر الفلاحين بالصناديق المجعولة لشراء الديون والذي يهمنا من زيارة المقيم هذه انها تتعلق بجهة تختلف مصالحها عن مصالح الجهات الاخرى . ففلاحتها لا تتفق مع فلاحات النواحي الاخرى . فهي تعتمد على الواحات الناشئة في الاماكن التي بها الماء والمزروعة نخيلا وعودا رقيقا وارياحين وخضرا على اسلوب خاص . وطرق مواصلاتها ناقصة من حيث الطرقات والسكك الحديدية وحتى حقق البريد . وتعليمها ناقص من جهة التعليم العام الابتدائي والتعليم الابتدائي العالي والتعليم الصناعي والعمران بها ناقص لعدم وجود الابار الارطوازية ولعدم انتهاج الحكومة سياسة مائية تناسب تلك الجهات .

تتكلم اولا عن العمران بتلك الجهات فنقول وبالله التوفيق اننا لسنا نعلم المقيم شيئا جديدا عند ما نذكر له ان اقل قرية من قرى الجريد كانت عاصمة مملكة في العهد الاسلامي . وذلك لان الاغالبة والفواطم والصنهاجيين وملوك الطوائف المحليين قد جعلوا همهم حبس العيون وحفر الابار وبناء الحنايا والسدود وزراعة النخيل والاشجار المثمرة وبناء الحصون وتامين السابلة . وان مدينة مثل قفصة كانت عاصمة ملك وعاصمة اقتصاد وعاصمة علم . وانها وطن الفقيه الكبير ابن راشد واكبر لغوي في العالم الاسلامي ابن منظور القفصي الذي الف لسان العرب وهو اكبر دائرة معارف لغوية عربية واحمد التيفاشي مؤلف اكبر كتاب عربي في النبات والحيوان والمعادن .

وتوزر كانت عاصمة ملك وعاصمة اقتصاد فيها نشأ المهندس الكبير ابن الشباط والاديب ابن النحوي التوزري والشاعر الشقراطسي والمؤرخ ابن الكردبوس .

وقابس كانت عاصمة دولة بني جامع وراس القوافل الصحراوية وعاصمة علم ظهر بها مثل الفقيه ابي علي القابسي وغيره كثير . فهذه الجهة التي اسس بها الاغالبة المحارس والرباطات وكانت مغروسة زياتينا واشجارا ورياحين الى ان خربها بنو هلال في سنة ٤٤٤ ثم جدد الحفصيون عمرانها هي التي زرتموها ايها السيد المقيم . فهل وجدتم شيئا من هذا العمران . وهل وجدتم شيئا من عمران اجدادكم الرومان واجدادنا كذلك حيث اننا في هذا المستوى نلتقي ؟

كلا !

سيقولون لكم ان العرب هم الذين خربوا . فاعلموا ان الوندال هم الذين خربوا . وان الكاهنة قضت على البقية الباقية وان العرب قد بنوا وجددوا وعمروا واحيوا الارض الموات وسلكوا سياسة مائية رشيدة .

واعلموا ان قابس كان بها اربعمائة معمل للحرير يوم كانت ليون لا تعرف الحرير وان توزر كانت عاصمة البلار يوم ادخل التونسيون البلار المذهب المنقوش الى صقلية ثم الى البندقية .

فغايتنا منكم ايها السيد العميد ان تشاهدوا الواقع الموجود . ثم ان لا تكتفوا بهذا الواقع فتتقلوا قليلا فالزمان كما انتقلتم في المكان حتى اذا تبينتم حاجيات وامكانيات هذه البلاد التي تزورون في الحال والماضي تبين لكم ما نستطيعه في المآل . وتبين لكم ان التونسيين من عهد اجدادهم القرطاجنيين والرومان والعرب قد ضربوا بسهم في ميدان الاقتصاد العالمي فهم حريون ان يضربوا بسهم اليوم في ميدان الاقتصاد الوطني

وبلاد الجريد بلاد غنية . غنية بما فيها من انباع ماء يمكن احداث الواحات بها . ولكن ذلك لا يتم الا اذا قضى على الاراضي الاشتراكية وحفرت الابار وحميت الاتمار التونسية من مزاحمة البصرة او غيرها .

وغنية بما فيها من معادن . لكن ذلك لا يتم الا اذا فتح فيها الباب للمهندسين التونسيين حتى لا يموتوا مشموسين ببحيرة تشاد ووضع فيها مكان للصناع التونسيين واعتبر فيها نصيب للعملة التونسيين عوض الطرابلسية او الصوفية او غيرهما .

وبلاد الجريد غنية باصوافها اذا فتحت بها المصانع لترقية الصناعة النسجية الصوفية والحريرية حتى نرجع بها الى ذلك العهد الزاهر الذي كانته على عهد العرب فقط يخرجون منها وما نقوله عن بلاد الجريد نقوله عن نفزاوة والاعراض وجربة

ونستطيع ان نقول ان جربة هي بريطانيا تونس وتزيد عن بريطانيا بانها ليست ارضا غرانيتية بل هي غنية جدا . فما ترتزق منه بريطانيا تستطيع ان تعيش منه جربة . فهذه الجزيرة هي كنز تونس البحري وعليها الاعتماد في « اسطولها التجاري » وعليها الاعتماد في صيد النشاف والسمك

ولكنها تحتاج الى مدرسة صناعية لترقية صناعة الخزف . والى مدرسة بحرية بسيطة لتكوين البحريين والربانين والملاحين الذين يقومون بترقية اسطولنا التجاري . وتحتاج الى تعليم اهلها صناعة تصبير السمك الموجودة في بريطانيا . يومئذ تصبح جربة بريطانيا الثانية غنية بمغروساتها وبصناعاتها وبحريتها وباسماكها .

ثم نقول ان جربة كانت ايضا نورمنديا . بل نقول اكثر من ذلك . وهي ان جربة كانت مغروسة كلها تفاحا . ثم لما اخذها الزمان في القرن العاشر فوجدوا بها التفاح فنقلوه الى نورمنديا واقتلع الجربيون التفاح لانه ذهب فريسة لؤلائك المحتلين . وقد كتب الدكتور نيكول مقالا في ذلك هو من احسن ما كتب في الموضوع . فمن المناسب ان ترجع جربة وطن التفاح مثلما صارت نورمنديا وطن التفاح . وما ذلك بشيء عسير عليكم ايها السيد المقيم .

المشهور الآن هو ان الجنوب التونسي محدود الامكانيات . والمعروف في التاريخ هو انه اصل عمران المملكة لان سكان البلاد الاصليين هم اهل الجريد فمن اللازم ان يرجع الى تلك الديار عمرانها بتصفية النظام العقاري واحداث اشغال الماء وتعميم التعليم الصناعي والفلاحي .

فهل بعد المشاهدة كان هذا استنتاجكم ايها السيد العميد ؟